حرف الهمزة

[١] [الكامل]

قال يصف مقطوعة شعرية:

خُذْها إلَيكَ وإنّها لَنَضِيرَةٌ ... طَرأتْ عليكَ قَليلَةَ النُّظَراءِ[1]

حَملتْ وحسبُكَ بَهجَةٌ من نَفحةٍ ... عَبَقَ العَروسِ وخجلَةَ العَذراءِ[2]

من كلّ وارِسةِ القَميصِ كأنّما ... نَشأتْ تُعَلّ بريقَةِ الصّفراءِ[3]

نَجمَتْ تَروقُ بها نُجُومٌ حسبها ... بالأيكَةِ الخَضراءِ مِن خَضراءِ[4]

وأنتكَ تُسفِرُ عَن وُجُوهٍ طَلْقَةٍ ... وتَنوبُ مِن لُطفٍ عن السُّفَراءِ[5]

---

(1) نضير: ناعم جميل، على وزن (فعيل)، من مبالغات اسم الفاعل. طرأت عليك: أتتك على حين غرة. النظراء: المماثلون المشابهون.

(2) عبق: طيب. العذراء: البكر، والجمع (عذارى). وحسبك: أي: كفايتك، مبتدأ، وما بعده خبره.

(3) الورس: نبت أصفر، ويقال: أورس المكان: امتلأ بالورس، أو اصفرّ. ريقة الصفراء: كناية عن الخمر.

(4) نجم: طلع، ومن النبات: ما طلع من غير ساق. الأيكة: الشجر الكثيف، الملتف.

(5) لأنها خير من السفير؛ لطلاقة وجهها؛ كناية عن عظيم أثر تلك الأشعار.

يَـنـدَى بـهـا وجـهُ الـنَّـديّ وربّـمـا بَـسَـطَـتْ هـنـاكَ أسِـرّةَ الـسَّـرّاءِ[1]
فـاسـتـضـحـكَـتْ وجهَ الدّجى مقطوعةٌ جَـمُـلَـتْ جَـمـالَ الـغُـرّةِ الـغَـرّاءِ[2]

[٢] [الكامل]

قال يصف خاتماً سماوي الفص:

ومُـرَقْـرَقِ الإفـرِنْـدِ أبـرَقَ بَـهـجَـةً ودَجـا فـأطـلَـعَ في الـظّلامِ ضِـياءَ[3]
كـسَـفَـتْ بـهِ لـلـشّـمـسِ حـسـنـاً آيَـةٌ تَـسْـتَـوقِـفُ الـرّائي لـهـا جِـربـاءَ[4]
وتَـخَـتَّـمَـتْ مِـن فَـصّـهِ بِـغَـمـامَـةٍ كفٌّ تَكونُ على الـسّـمـاحِ سماءَ[5]
قد صِيغَ صِيغَةَ حِكمَةٍ أصبَى لها نَفسَ الحَكيمِ وضاجعَ العَذراءَ
مـا إنْ تَـرِفّ لـهـا بـنَـفـسَـجَـةٌ بـهِ حـتـى تَـرِقَّ لـهـا فـتَـجـري مـاءَ[6]
وكـأنّـمـا نـظَـرَتْ بـهِ يـومَ الـنَّـوَى عـن مُـقـلَـةٍ بَـهِـتَـتْ لـهـا كَـحـلاءَ[7]

(1) أسرة الوجه: علاماته وطلاقته.
(2) ولبشاشة تلك القصيدة: فهي صباح الظلام ومجلى الأحزان، كالصبح للظلام. وفي الكلام استعارة مطلقة، والغرة: بياض في الجبهة، والغراء: البيضاء الحسنة.
(3) الإفرند: وشي السيف، والفرند: السيف. دجا: أظلم.
(4) الحرباء: دويبة معروفة، تستقبل الشمس نهارها وتدور معها، متلونةً.
(5) فص الخاتم: ما يركب عليه (فيه) من حجر كريم أو غيره.
(6) يقصد أن لون فص الخاتم البنفسجي كأنه ماء يترقرق، صفاءً وجمالاً.
(7) المراد هنا: أن هذا الخاتم مع فصه المتميز؛ كأنه حبيب يصعب فراقه، ولأن كتب على حامله فراق فهو حتماً كمن بهت وتحيَّر في مصاب أليم.

[٣] [الكامل]

قال يذكر زيارة طيف ويصف الليل والنجوم:

ورِداءِ لَـيـلٍ بـاتَ فـيـهِ مُـعـانـقـي ... طَـيـفٌ أَلَـمّ كـظَـبـيَـةِ الـوَعْـسَـاءِ[1]

فـجَـمَـعـتُ بَـيـنَ رُضـابِـهِ وشَـرابِـهِ ... وشـربـتُ مِـن رِيـقٍ ومِـن صَـهـبـاءِ[2]

ولَـثَـمـتُ فـي ظَـلـمـاءِ لَـيـلَـةِ وَفـرَةٍ ... شَـفَـقـاً هـنـاك لـوَجـنَـةٍ حَـمـراءِ[3]

والـلّـيـلُ مُـشـمَـطُ الـذّوائِـبِ كَـبـرَةٌ ... خَـرِفٌ يَـدبّ عـلـى عَـصـا الـجَـوزاءِ[4]

ثـمّ انـثَـنَـى والـسُّـكـرُ يَـسـحَـبُ فَـرعَـهُ ... ويَـجُـرّ مـن طَـرَبٍ فُـضُـولَ رِداءِ[5]

تـنـدى بـفـيـهِ أُقـحُـوانَـةُ أجـرعٍ ... قـد غـازَلَـتـهـا الـشّـمـسُ غِـبَّ سَـمـاءِ[6]

وتَـمـيـسُ فـي أثـوابِـهِ رَيْـحـانَـةٌ ... كَـرَعَـتْ عـلـى ظَـمـإٍ بـجَـدوَلِ مـاءِ[7]

---

(1) كناية عن شدة ظلام اللّيل. **وطيفه**: خياله. فكأن اللّيل طيف خفيف الظل، كما هي خفة الظبي على الرمال، **الأوعس**: السهل من الرمل، تغيب فيه الأرجل.

(2) **الرضاب**: الريق في الفم. كناية عن هذا الطيف الجميل؛ يعانق، ويمثله شراباً وخمراً، ولذةً ونشوةً.

(3) **لثمت**: قبّلت، **والشفق**: بَعيد الضوء وحُمرة الشمس عند الغروب. وحمرة الخدود كالشفق عند الأصيل.

(4) **مشمطٌ**: مختلط؛ بين بياض النهار وسواد اللّيل، بلون زاوٍ أخّاذ، كأنه رجل خرف كبير السن، واهن العظم، مشتعل الرأس شيباً، **والجوزاء**: كوكب، فكأن ليله: يسير الهوينا، خائفاً ثقيلاً.

(5) ثم عاد، يسحب سواده؛ لاقتراب الصبح، وهو طرب، هائم.

(6) وقد فاح من نداه وشذاه ما عطر الأجواء، حتى النبات، كما ريح الطبيعة بعد المطر؛ ندي شذي أقحواني، بهيج. **والأقحوان**: زهرة الذهب، فيها زيوت طبارة، مرة، طاردة للديدان مسكنة لآلام الأجهزة التناسلية والبولية، وللروماتيزم والنقرس.

(7) **تميس**: تتبختر، **كرعت**: شربت وارتوت من ماء جار.

تَـفّـاحَـةُ الأنـفـاسِ إلّا أنّـهـا حـذَرَ الـنّوى خَـفّـاقَـةُ الأحـيـاءِ[1]
فلَوَيتُ مَعطِفَها اعتِناقاً حَسبُها فـيـهِ بـقَـطـرِ الـدّمـعِ مـن أنـواءِ[2]
والـفَـجـرُ يَـنـظُـرُ مـن وَراءِ غَـمـامَـةٍ عـن مُـقـلَـةٍ كُـحِـلَـتْ بـهـا زَرقـاءِ[3]
فـرَغِـبـتُ عـن نُـورِ الـصّـبـاحِ لـنَـوْرَةٍ أُغـرى لـهـا بـبَـنَـفـسَـجِ الـظّـلـمـاءِ[4]

[٤] [الكامل]

ومَـجَـرُّ ذَيـلِ غَـمـامَـةٍ قـد نَـمّـقَـتْ وَشـيَ الـرّبـيـعِ بـهِ يـدُ الأنـواءِ[5]
ألـقَـيـتُ أرحُـلَـنـا هـنـاكَ بـقُـبّـةٍ مَـضـرُوبَـةٍ مـن سَـرحَـةٍ غَـنّـاءِ[6]
وقَـسَـمـتُ طَـرفَ الـعَـيـنِ بَـيـنَ رَبـاوَةٍ مُـخـضَـرّةٍ وقَـرارَةٍ زَرقـاءِ[7]

(1) **تفاحة الأنفاس**: كأنه روح النفس ومزاجها وطربها، لأن به نقاء وسرور، وذلك لأن التفاح فيه مزيج من عناصر عدة؛ تعطيه تلك الرائحة، حتى إن العرب قد عالجوا بالتفاح الجروح والغثغرينا؛ قيل اكتشاف البنسلين. **ومن فوائد التفاح**: مكافحة الإمساك والإسهال، وإزالة حمض البول، وللسعال والعطش، وطرد الأحماض والدهون، والوهن القلبي، والتهاب الأعصاب. **الأفياء**: جمع (فيء): الظل.

(2) **فلويت معطفها**: كناية عن احتضان طيف الحبيب، وهنا: قطف تلك الزهرة، **أنواء**: جمع (نوء): مطر، أي: سال ماء من أثر ذلك القطع؛ كأنه دمع محب مفارق.

(3) وكان الفجر مخبوءاً وراء الغمام، أو السحاب، كأن مقلة دامعة والهة.

(4) **فرغبت عنها**: تركتها، وهنا: يترك الشاعر نور الفجر لنور طيف حبيبه، وقت السحر، وقد فتن بليل مظلم وطيف خيال من محب مفارق.

(5) **مجر ذيل**: كناية عن الإسفار والشروق. **والوشي**: التزيين.

(6) **ألقيت**: نظرت، تتعدى لمفعولين. **أرحلنا**: جمع (رحل)، وجمع الثلاث: أرحل والسرحة: الشجرة الفطيمة الفارعة الطول.

(7) **الرباوة**: ربوة، مكان مرتفع، **قرارة**: مكان منخفض، وبين ربوة وقرارة: طباق.

وشَـرِبتُـهـا عَـذراءَ تَـحـسِـبُ أنّـهـا مـعـصـورَةٌ مِـن وَجـنَـتَـيْ عَـذراءِ[1]

حَـمـراءُ صـافـيَـةٌ تَـطـيـبُ بـنَـفـسِـهـا وغِـنـائِـهـا وخَـلائِـقِ الـنُّـدمَـاءِ

خُـذهـا كـمـا طَـلَـعـتْ عـلَـيـكَ عَـرارَةٌ مُـفـتَـرَّةٌ عَـن لُـؤلُـؤِ الأنـداءِ[2]

[٥] [الكامل]

للهِ نَـهـرٌ سـالَ فـي بَـطـحـاءِ أشـهَـى وُرُوداً مِن لمَى الحَسناءِ[3]

مُـتَـعَـطِّـفٌ مـثـلَ الـسِّـوارِ كـأنّـهُ والـزّهـرُ يَـكـنُـفُـهُ مَـجَـرُّ سَـمـاءِ[4]

قَـد رَقّ حـتـى ظُـنّ قُـرصـاً مُـفـرَغـاً مِـن فـضّـةٍ فـي بُـردَةٍ خَـضـراءِ[5]

وغَـدَتْ تَـحُـفّ بـهِ الـغُـصـونُ كـأنّـهـا هُـدبٌ يَـحُـفّ بـمـقـلَـةٍ زَرقـاءِ[6]

---

(1) وشربتها عذراء: أي: خمرة دون مزج، نعوذ بالله منها أيًّا كانت.

(2) عرارة: العرار: نبات بري (بهار)، طيب الريح، مفترة: مبتسمة. والند: طيب معروف.

(3) لله نهر = لله در نهر؛ قيل: للتعجب. البطحاء: مسيل واسع، لمى: سمرة للشفاه تحسنها.

(4) النهر حوله الأزهار: كالمجرة في السماء وحولها النجوم لوامع، مجرّ: أصلها مجرّة؛ ترخيم، وشرطه النداء، لكنه هنا محذوف، والمجرة: مجموعة من النجوم؛ كالوشاح، تظهر ليلاً.

(5) ظن قرصاً: ظن: تتعدى لمفعولين، الغائب سد مسد الأول، والثاني (قرصاً)، فالماء كالفضة، والزهر وشاح أخضر!! يا للروعة وشبه الزهر كالبردة، وهنا استعارة تمثيلية.

(6) الماء الجاري بين خضرة البساتين؛ كالعين وحولها الأهداب - شعر الجفن - وزرقة العين شابهت (تحكي) زرقة الماء.

ولَطالَما عاطَيتُ فيهِ مُدامَةً صَفراءَ تَخضِبُ أيديَ النَّدَماءِ[1]
والرّيحُ تَعبَثُ بالغُصُونِ وقد جَرَى ذَهَبُ الأصيلِ على لُجَينِ الماءِ[2]

[٦] [السريع]

وقال:

وأسْوَدٍ عَنّ لَنا سابِحٍ في لُجّةٍ تَطفَحُ بَيضاءِ[3]
وإنّما جالَ بِها ناظِرٌ في مُقلَةٍ تَنظُرُ زَرقاءِ

[٧] [الوافر]

ألا يا حَبّذا ضَحِكُ الخُمَيّا بِحانَتِها وقد عَبَسَ المَساءُ[4]

(1) عاطيت: المعاطاة: المناولة، وتعاطي الأمر: ركبه وأدمن عليه، وكذا الخمر، المدامة: الخمر. تخضب: تصبغ. وهنا ذكرها صفراء. وكذا كانت عندهم بذاك اللون، خير من الحمراء لون الدم! وأراد أنه بين الماء والخضرة والندماء والخمر! تلك حاله، وهذا الذي أودى بالأمة الأندلسية، بعد أن هاموا في دنيا الفتن والمجون، والجزاء من جنس العمل.

(2) التشبيه هنا مؤكد، حيث أضيف المشبه به إلى المشبه، وحيث جرى الماء كالفضة، وشعاع الشمس كالذهب؛ لكن قلب وأضاف ليجعل تشبيهه رائعاً تمثيلياً، مقلوباً، وهذا البيت كثر الاستشهاد فيه على جمال الماء والأنهار..

(3) هنا شبه سواد العين بما في الماء، وزرقتها وسطها، وما حولها، فالعين سابحة في لجة زرقاء.

(4) حبذا: فعل لإنشاء المدح، (حب): فعل ماضٍ، وذا: فاعل، ضحكُ: مبتدأ مؤخر، خبره جملة (حبذا) المقدمة عليه. الحميّا: حميّا الكأس: أول سورتها، أو نشوتها في الرأس، عبس المساء: وهو استعارة أصلية.

وأدهَمُ مِن جِيادِ الماءِ مُهرٍ تَنازَعُ جُلَّهُ رِيحٌ رخَاءُ [1]

إذا بَدَتِ الكَواكِبُ فيهِ غَرقَى رأيتَ الأرضَ تَحسُدُها السَّماءُ [2]

[٨] [الوافر]

ألا قُلْ للمَريضِ القَلبِ مَهلاً فإن السَّيفَ قَد ضَمِنَ الشِّفاءَ [3]

ولَمْ أرَ كالنِّفاقِ شَكاةَ غِرٍّ ولا كَدَمِ الوَريدِ لهُ دواءَ [4]

وقد دَمّى النَّجيعُ هناكَ أرضاً وقد شَمَلَ العَجاجُ بهِ سَماءَ [5]

ودِيسَ بهِ انحطاطاً بَطنُ وادٍ مَدَ اعشَبَ شَعرُ لحيَتِهِ ضَراءَ [6]

---

(1) **الأدهم**: الأسود، وهنا كناية عن ظلمة الليل. **المهر**: ولد الفرس، أي: اشتدت ظلمة الليل، وهبت ريح خفيفة لينة طيبة.

(2) وتبدو الكواكب داخل الماء؛ كأنها غرقى حال انعكاسها، حتى بدأت السماء تغبط الأرض وتحسدها لتجسد العالم العلوي فيها، وهي صورة رائعة الحسن.

(3) **مريض القلب**: صاحب العشق والهيام. والسيف يضمن الشفاء؛ كذلك فإن القطع ينفي تعلق القلب بمحبوبه.

(4) **والشكاة**: المرض، فالنفاق مرض المتكبرين، وليس لمرضى القلب - كما هم المنافقون - إلا القطع؛ للخلاص من الألم، **والغر**: غير المجرب. ويمكن حمل كلام الشاعر على أن دواء المنافقين: القتل لا غير، لأن داءهم لا يمكن شفاؤه. **ودم الوريد**: كناية عن القتل ضرباً بالسيف.

(5) **النجيع من الدم**: الأسود، **ودمّى**: ملأها دماً، ولكثرة النفاق: كثرت الدماء.

(6) حتى وصل الدم إلى الأودية، لكثرته وكثرة المنافقين. **مذ اعشب**: همزه (اعشب) قطع، وهنا وصل للشعر، أي: لحية بعض المنافقين طويلة؛ كأنها شجرة، لكن لا خير فيها.

[9] [الكامل]

قال يمدح قاضي القضاة:

يا نَشرَ عَرفِ الرَّوضَةِ الغَنّاءِ ونَسيمَ ظِلِّ السَّرحَةِ العَيناءِ[1]

هذا يَهُبّ معَ الأصيلِ عنِ الرُّبَى أرَجاً وذلكَ عَن غَديرِ الماءِ

عُوجا على قاضي القُضاةِ غُدَيّةً في وَشْيِ زَهْرٍ أو حِلَى أندادِ[2]

وتَحَمّلا عَنّي إلَيهِ أمانَةً مِن عِلقِ صِدْقٍ أو رِداءِ ثَناءِ[3]

فإذا رَمَى بكُما الصَّباحُ دِيارَهُ فتَرَدّدا في ساحَةِ العَلياءِ

في حَيثُ جَرّ المَجدُ فَضلَ إزارِهِ ومَشَى الهُوَينا مِشيَةَ الخُيَلاءِ[4]

وسَرَى فجَلّى لَيلَ كلّ مُلِمّةٍ قَمَرُ العَلاءِ وأنجُمُ الآراءِ

مِن مَنزِلٍ قد شَبّ من نارِ القِرَى ما شابَ عَنهُ مَفرِقُ الظَّلماءِ[5]

لو شِئتُ طُلتُ بهِ الثُّرَيّا قاعِداً ونَشَرتُ عِقدَ كَواكِبِ الجَوزاءِ[6]

ولَثَمتُ ظَهرَ يَدٍ تَندّى حرّةً فكأنّني قَبّلتُ وجهَ سَماءِ

---

(1) نشر عرف...: الرائحة العطرة. السرحة العيناء: الشجرة الخضراء العظيمة.

(2) عوجا: عرّجا، ومُرّا، غديةً: صباحاً.

(3) تحمّلا: احملا، وأوصِلاً. عِلْق: نفيس.

(4) أي: إلى حيث....، ولأن قاضي القضاة صاحب مجد؛ لذا كان محط نظر الشاعر، ومقصوده.

(5) القِرى: الضيافة، والكرم للضيفان، وكأن نار الطعام لدى صاحب المجد - قاضي القضاة - قد ظهرت جلياً؛ حتى لتكاد أن تضيء الليل لشدتها.

(6) الثريا، والجوزاء: نجوم لامعة، عالية، وكأن رفعة مقام ممدوحه فوق الثريا.

ومَلأتُ بَينَ جَبينِهِ ويَمينِهِ جَفنيّ بالأنوارِ والأنواءِ[1]

مُتَهادِياً ما بَينَ أبطَحِ شِيمَةٍ دَمُثَتْ ومَضبَةِ عِزّةٍ قَعساءِ[2]

كَلِفاً هناكَ بغُرّةٍ مَيمُونَةٍ خُلِقَتْ أسِرّتُها مِنَ السَّرّاءِ[3]

لو كُنتَ تُبصِرُني أدُورُ إزاءَها لنَظَرْتَ مِنْ شَمسٍ ومن حَرباءِ[4]

أرسَى بهِ في اللهِ طودُ سَكِينَةٍ وعَدالَةٍ وامتَدّ حَبْلُ رَجاءِ[5]

خَلَعَ القَضاءُ عليهِ خِلعَةَ سُؤدَدٍ غَنِيَتْ بِشُهرتِها عَنِ الأسماءِ[6]

عَبِقَ الثّناءُ نَدَى الحَيا فكأنّهُ رَيحانَةٌ مَطلُولَةُ الأفياءِ[7]

أبَداً لَهُ في اللهِ وَجهُ بَشاشَةٍ ووَراءَ سِترِ الغَيبِ عَينُ ذَكاءِ

قد راقَ بينَ فَصاحَةٍ وصَباحَةٍ سَمْعُ المُصيخِ لَهُ وعينُ الرّائي[8]

وكأنّهُ مِن عَزمَةٍ في رَحمَةٍ مُتَرَكِّبٌ مِن جَذوَةٍ في ماءِ

بَينَ الطّلاقَةِ والمَضاءِ كأنّهُ وَقّادُ نَصلِ الصَّعدَةِ السّمراءِ

---

(1) الأنوار: العطايا المعنوية، والأنواء: العطايا الحسية.

(2) أي: فهو في عزته متواضع، سهل الخليقة، لين الجانب، وذلك هو التواضع والرحمة، والقعساء: الثابتة المنيعة، والقوية الشكيمة.

(3) الكَلِف: العاشق، أي: تعلقت روحي وقلبي بذلك العزيز الميمون المبارك، لأن سريرته كعلانيته، سرور في سرور، لا تحمل حقداً ولا ضراء.

(4) من شمس ومن....: حرفا الجر زائدان: وكأنه تابع أو ظل لممدوحه فهو معه حيث حل أو ارتحل.

(5) والطود: الجبل، وهنا استعارة، كناية عن الثبات والقوة.

(6) خلع عليه: ألبسه، وصار به معروفاً، والسؤدد: العز والمكانة فهو غني عن التعريف.

(7) الحيا: أصلها (الحياة)؛ والطل: أخف أنواع المطر. وهنا تشبيه تمثيلي.

(8) الصباحة: الجمال، والفصيح حاذق، المُصيخ: المستمع.

لو شاءَ نَسخَ اللّيلِ صُبحاً لانْتَحى ... فمَحا سَوادَ اللّيلَةِ اللّيلاءِ [1]

تُثني بهِ رِيحُ المَكارِمِ خُوطَةً ... في حَيثُ تَسجَعُ أُلسُنُ الشّعَراءِ [2]

وكأنّهُ وكأنّ رَجعَ نَشيدِهِ ... فَصلُ الرّبيعِ ورِنّةُ المُكّاءِ [3]

[١٠] [الرجز]

نَبّهْ وَليدَكَ من صِباهُ بزَجرَةٍ ... فلَرُبّما أغفَى هناكَ ذَكاؤهُ [4]

وانهَرْهُ حتى تَستَهِلَّ دُمُوعُهُ ... في وَجنَتَيهِ وتَلتَظي أحشاؤهُ

فالسّيفُ لا تَذكو بكَفّكَ نارُه ... حتى يَسيلَ بصَفحَتَيهِ ماؤهُ [5]

[١١] [الكامل]

قال يرثي الوزير أبا محمد عبد الله بن ربيعة:

في كلّ نادٍ منكَ روضُ ثَناءِ ... وبكُلّ خَدٍّ فيكَ جَدوَلُ ماءِ

ولكُلّ شَخصٍ هِزّةُ الغُصنِ النّدي ... غِبَّ البُكاءِ ورِنّةُ المُكّاءِ [6]

---

(1) نَسخَ الليل: جعله نهاراً، والنسخ: الإزالة. الليلاء: شديدة الظلمة.

(2) الخُوطَة: الخوط: الغصن الناعم. السَجع: كلام موزون آخره، مقفى، أو هو: توافق الفاصلتين نثراً في الحرف الأخير: وكان محبباً لدى الخطباء والوعاظ.

(3) المُكّاء: الذي ينفخ فيحدث صفيراً.

(4) أي: خمد حسه، فيكون الزجر وعظاً وإرشاداً وتربية.

(5) أي: لا يكون السيف قاطعاً حتى يحد ويصقل، بالنار والطرق.

(6) غبّ: عاقبة الشيء.

يا مَطلَعَ الأنوارِ إنّ بِمُقلَتي ... أسَفاً عَلَيكَ كَمَنشإِ الأنواءِ

وكَفَى أسًى أنْ لا سَفيرٌ بَينَنا ... يَمشِي وأنْ لا مَوعِدٌ لِلِقَاءِ[1]

فيمَ التّجَمّلُ في زَمانٍ بَزّني ... ثَوبَ الشّبابِ وحِليَةَ الشُّبَلاءِ

فَعَرِيتُ إلّا مِن قِناعِ كآبَةٍ ... وعَطِلتُ إلّا مِنْ حُلِيّ بُكاءِ[2]

فإذا مَرَرتُ بمَعهَدٍ لِشَبيبَةٍ ... أو رَسمِ دارٍ لِلصَّديقِ خَلاءِ

جالَتْ بطَرْفي لِلصّبابةِ عَبرَةٌ ... كالغَيمِ رَقّ فَحالَ دونَ سَماءِ[3]

وَرَفَعتُ كَفّي بَينَ طَرفٍ خاشِعٍ ... تَندَى مآقِيهِ وبَينَ دُعاءِ[4]

وبَسَطتُ في الغَبراءِ خَدّي ذِلّةً ... أستَنزِلُ الرُّحمَى مِنَ الخَضراءِ[5]

مُتَمَلْمِلاً ألَماً بِمَصرَعِ سَيّدٍ ... قد كانَ سابِقَ حَلبَةِ الشُّجَبَاءِ[6]

لا والذي أعلَقتُ مِن تَقديسِهِ ... كَفّي بحَبلَيْ: عِصمَةٍ ورجَاءِ

وخَرَرتُ بَينَ يَدَيهِ أعلَمُ أنّه ... ذُخري لِيَومَيْ شِدّةٍ ورخاءِ[7]

لا هَزّني أمَلٌ وقد حَلّ الرّدَى ... بأبي مُحَمّدٍ المَحَلّ النّائي

---

(1) حيث حال الموت بين المذكور - الوزير - والشاعر ابن خفاجة. فلم أسكت وقد سلبني الدهر أحسن الأصحاب نبلاً وقوة؟

(2) أي: أثر ذاك الحزن علي؛ فصار وجهي كئيباً، وصار البكاء ديدني.

(3) أي: انهمرت الدموع أسىً وأسفاً، وحال ذلك دون مناي، كالغيم يحجب السماء.

(4) فكانت يده مرفوعة داعية، وعيناه تزرفان دمعاً.

(5) أي: سجد ودعا، والدعاء في ذاك قريب الإجابة؛ يستنزل رحمة الله، أي: يرحم ذاك الفقيد، والخضراء: كناية عن السماء.

(6) أي: الأول في النجابة والفهم والحكمة والأدب، كالخيل عندما تسبق في الرهان.

(7) خررت بين يديه ساجداً داعياً.

في حَيثُ يُطفأُ نُورُ ذاكَ المُجتَلَى ... وفِرِنْدُ تِلكَ الغُرَّةِ الغَرّاءِ[1]

وكَفَى اكتئاباً أنْ تَعيثَ يَدُ البِلَى ... في محو تلك الصُورَةِ الحسناءِ

فَلَطالَما كُنّا نُريحُ بِظِلِّهِ ... فنُريحُ منهُ بِسَرحَةٍ غَنّاءِ

فتَقَتْ على حُكمِ البَشاشةِ نَوْرَها ... وتَنَفَّسَتْ في أوْجُهِ الجُلَساءِ

تَتَفَرَّجُ الغَمّاءُ عَنْهُ كأنّهُ ... قَمَرٌ يُمَزِّقُ ثَمِلَةَ الظَلماءِ

قاسَمتُ فيهِ الرُّزءَ أكرَمَ صاحِبٍ ... فمَضَى يَنُوءُ بأثقَلِ الأعباءِ[2]

يَهفُو كما هَفَتِ الأراكةُ لوعةٌ ... ويُرِنّ طَوراً رِنّةَ الوَرقاءِ[3]

عَجَباً لها وقَدَتْ بصَدرٍ جمرَةً ... وتَفَجَّرَتْ في وَجنَةٍ عن ماءِ

ولَئِنْ تَراءى الفَرقَدانِ بِنا مَعاً ... وكَفاكَ شُهرَةَ سُؤدُدٍ وعَلاءِ[4]

فَلَطالَما كنّا نَرُوقُ المُجتَلي ... حُسناً ونَملأُ ناظِرَ العَلياءِ

يُزهَى بنا صَدْرُ النَدِيّ كأنّنا ... نَسَقاً هُناكَ قِلادَةُ الجَوزاءِ[5]

---

(1) حيث خمدت شعلة ذاك الألمعي بموته، وأغمد ذاك السيف، ولله في خلقه شؤون، فقد طلع نجمه ثم أفل.

(2) الرُّزء: المصاب. ينوء: ينهض بجهد وعناء.

(3) لقد أسرعت اللوعة، كما الناقة تسرع لوعتها إليها، فتخذ السير؛ وكمثل صياح الورقاء - الحمامة - ذات الشجو والأنين.

(4) الفرقدان: نجمان قريبان من القطب، كناية عن رفعة مقام ممدوحه.

(5) الجوزاء: برج في السماء، والقلادة: ما جعل في العنق.

[١٢] [الكامل]

قال يرثي أم الفقيه قاضي القضاة أبي أمية:

في مِثلِهِ مِن طارِقِ الأرزاءِ جادَ الجَمادُ بعَبرَةٍ حَمراءِ[1]

مِن كلّ قانِيةٍ تَسيلُ كأنّها شُهبٌ تَصَوّبُ من فُرُوجِ سَماءِ[2]

تَحمَى فتَغرَقُ مُقلَةٌ في جاحِمٍ منها وتُحرَقُ وجنَةٌ في ماءِ[3]

مَحتِ الكَرَى بينَ الجُفونِ وربّما غَسَلَتْ سَوادَ المُقلَةِ الكَحلاءِ[4]

لا تُورِثُ الأحشاءَ إلّا غُلّةً والماءُ ينفعُ غُلّةَ الأحشاءِ[5]

أهولْ بهِ مِن يومِ رُزءٍ فادِحٍ سَحَبَ الصّباحُ بهِ ذُيُولَ مَساءِ[6]

مُتَلاطِمُ الأحشاءِ تَحسِبُ أنّهُ بحرٌ طَمَى متَلاطِمُ الأرجاءِ

---

(1) **الرزء**: المصاب الأليم. **حمراء**: اللازم أن تكون (حمراء) ممنوعة من الصرف، لكن لضرورة الشعر، صرف الروي. همزة مكسورة.

(2) **أي**: لقد سكبت أم الفقيه الدمع دماً، حسرة على ولدها، وسالت الدموع شهباً، غزيرة، كما الشهب في السماء قوية سريعة.

(3) **جاحم**: الجاحم: الجمر الشديد الاشتعال؛ كناية عن شدة لوعة الحزن، والدمع ينزل حاراً فيحرق الخدود!

(4) **الكرى**: النعاس. هذا المصاب سبب دمعاً غزيراً، كاد أن يغير سواد مقلة العين لكثرته.

(5) **الغلة**: العطش، ولولا الشراب لجفت الأحشاء من كثرة البكاء فكان الماء المشروب عوضاً عما فقدته في حسراتها.

(6) **أهول به**: أي: أعظم به هولاً، أي: ما أشد هوله ومصابه. ما أفعله، وأفعل به: صيغتا التعجب. **أهول**: فعل ماض، جاء على صورة الأمر، مبني على فتح مقدر، والباء: زائدة، والهاء: فاعل.

جَمَعَ الحِدادَ إلى العَويلِ فما تَرَى ... في القَومِ غَيرَ حَمامَةٍ ورقاءِ[1]

مِن ماسِحٍ عن وَجنَةٍ مَمطورَةٍ ... أو رافِعٍ مِن زَفرَةٍ صُعَداءِ

وكأنّما يَسقي بما يَبكي ثَرى ... ما قد ذوى مِن دَوحَةِ العَلياءِ[2]

ولَئِنْ جَزِعتَ لَيَومِ أُمِّ بَرَّةٍ ... نَشأتْ تَطُولُ أكابِرَ الآباءِ

تَصِلُ الدّعاءَ إلى البُكاءِ كأنّما ... تَرمي السّماءَ بمُقلَةٍ مَرهاءِ[3]

فلِمِثلِهِ مِن يَومِ خَطبٍ نازِلٍ ... جَمّتْ دُمُوعُ أفاضِلِ الأبناءِ

فاسمَحْ بأعلاقِ الدّموعِ فإنّما ... تُقنى دُمُوعُ العَينِ للبُرَحاءِ[4]

واهتِفْ بما تَشكُو إليها لوعةٌ ... إن كانَ يُصغي هالِكٌ لِنِداءِ

واقرَعْ لها بابَ السّماءِ بدَعوةٍ ... تَستَمطِرُ الخَضراءَ للغَبراءِ[5]

حتى تَجُودَ بكُلّ عارِضِ رَحمَةٍ ... تَستَضحِكُ الأنوارَ للأنواءِ[6]

زَجِلِ الرّعُودِ كأنّما مَسَحَتْ بِه ... كَفُّ الصَّبا عَن ناقَةٍ عُشَراءِ[7]

فبِمِثلِها مِنْ تُربَةٍ قَدْ قُدِّسَتْ ... نَشَرَ النّسيمُ قَلائِدَ الأندادِ

وسَرَى يُمَرِّغُ خدَّه قمرُ الدّجى ... ويُذيلُ فَضلَ ضَفِيرَةِ الجَوزاءِ

---

(1) **الحداد**: المأتم على الميت، والحزن عليه. **والعويل**: رفع الصوت بالبكاء.

(2) صار البكاء لكثرته كالماء يسقي التراب.

(3) **مرهاء**: بيضاء، فاسدة؛ من الحزن والبكاء.

(4) **أعلاق الدّموع**: العِلق: النفيس، جمعه (أعلاق) **البُرَحاء**: الشدة، **تُقنى**: تدخر.

(5) **أي**: طلب الدعاء من الأرض إلى السماء.

(6) فكأن رحمة الله قد أزالت تلك المصاب؛ فكانت خيراً ونوراً وهدى.

(7) **العُشَراء من النوق**: تلك التي مضى على حملها عشرة أشهر.

ولَئِنْ صَبرتَ وصَبرُ مثلِكَ حِسبةٌ ... فلَقَد أخَذتَ بشيمَةِ النُّبَلاءِ[1]

من كلّ ماضِي العزمِ يُهوي بالأسَى ... عن هَضبَةٍ مِن صَبرِهِ خَلقاءِ[2]

كَشَفَتْ لهُ الأيّامُ عَن أسرارِها ... فرأى جَلِيَّ عَواقِبِ الأشياءِ

لم يَثْنِ في السّرّاءِ من تيهٍ بها ... أعطافَهُ فيَخورَ في الضّرّاءِ[3]

ما ارتابَ أنّ سرورَهُ لكآبَةٍ ... يَوماً وأنّ بَقاءَهُ لفَناءِ

فكأنّهُ والعِيسُ تَبسُطُ خَطوَهُ ... قَد بانَ مُرتَحِلاً عن الأحياءِ

فلَرُبّ رَكبٍ للرّدى تحتَ السُّرَى ... ضَرَبُوا قِبابَهُم بها لِثَواءِ[4]

متَوَسّدينَ بها التّرابَ كأنّهم ... لم يَرتَعُوا في زَهرَةِ النّعماءِ

صَرْعَى فَلا قَلبٌ لغَيرِ ضَبابَةٍ ... يُذكَى ولا عَينٌ لغَيرِ بُكاءِ

ما شِئتَ من قُرناءِ خَيرٍ أعصَفَتْ ... ريحُ الرّدى بهِمُ ومِنْ قُرَبَاءِ

مُلِئَتْ بهِمْ عَيني دُمُوعاً كلّما ... مُلِئَتْ عُيُونُهُمُ مِنَ الإغفاءِ

وكَفَى أسًى وصَبَابَةً أن أُنزِلُوا ... وهُمُ الأقارِبُ مَنزِلَ البُعَداءِ[5]

بَدَداً بمَسرَى كلِّ رِيحٍ عاصِفٍ ... ومَصابِ كلّ غَمامَةٍ هَطلاءِ

---

(1) الحِسبة: الاحتساب عند الله، وتلك شيمة الكرام والشرفاء.

(2) كأن هذا الفاضل عندما فارق الحياة؛ قد سقط من علو، لم يستطع التماسك به لعدم وجود ممسك، حيث جاء قدر الله، فكان ما كان.

(3) كان في الضراء صبوراً، وفي السراء شكوراً، فلم تبطره النعمة؛ كما لم تفت عزمه الملمات، فلم يضعف.

(4) كأن الموت جثا وأقام، ولم يرتحل إلا ومعه ذاك الفقيه النبيل. السُّرى: السير ليلاً.

(5) أنزلوا منزل البعداء: أي: غُيّبوا في التراب - الأجداث - القبور.

ألوَى بهم ولكلّ جَنبٍ مَصرَعٌ ... داءٌ عَياءٌ عَزّ كلّ دَواءِ[1]

وطوَى القرونَ بحَيثُ صُمّتْ عَنهُمُ ... أُذنُ المُصيخِ وكَلّ طَرفُ الرّائي[2]

ولَئِن سَطَا والفاصِلاتُ كَثيرَةٌ ... فلَقَد سَطَا بقَليلَةِ النُّظَراءِ

ونَجيبَةٍ جاءَتْ بأوحَدِ أمجَدٍ ... قد فاتَ طَولاً أيدِيَ النُّجَباءِ

مُتَقَلِّبٌ في اللهِ بَينَ بَشاشَةٍ ... يَندَى الهَشيمُ بها وبَينَ مَضاءِ[3]

لَدنٌ كمَطلُولِ النَّسيمِ وتارَةً ... خَشِنٌ كصَدرِ الصُّعدَةِ السّمراءِ[4]

في مَقعَدٍ وَسِعَ الأنامَ عَدالَةً ... وسَما فَزاحَمَ مَنكِبَ الخَضراءِ

يَستَنزِلُ الأزوى هناكَ سَكينَةً ... ويَروعُ قَلبَ الصَّخرَةِ الصَّمّاءِ[5]

عَدلٌ يَظَلّ بظِلّهِ ذِئبُ الغَضا ... جاراً هناكَ لظَبيَةِ الوَعساءِ[6]

وكَفاهُما أن يَخلُوَا بأراكَةٍ ... عِندَ المَقيلِ ويَشرَبا من ماءِ[7]

---

(1) عز كل دواء: لم تنفعه الأدواء؛ لأنه لا راد لحكم الموت، هكذا قضى الله.

(2) المُصيخ: المستمع، وكَلّ: تعب.

(3) متقلب في الله...: أي: بين فرح وحب للقاء الله، وتلك حال المؤمن، حيث يرى مقعده من الجنة، وبين خوف منه - سبحانه - وهو الرحيم الحليم.

(4) لَدنٌ: لين، كناية عن سماحة خلقه. خشن كصدر... أي: لا يتساهل في حدود الله، بل هو شديد بها.

(5) هذا المنزل هو القبر، فهو شديد، ولذكره تسقط الحوامل حملها، وينتت الصخر لهول هذا المنزل؛ لأنه مقعد الحساب.

(6) أي: القبر، والحساب الإلهي عدل كله، فلا ظلم هناك.

(7) الأراكة: شجرة الأراك، كناية عن الظل. أي: إن منازل الموت والآخرة قد جمعت الأضداد، فالكل إلى ذاك صائر، وأمام حكم عدل...

وإلَيكَ مِن حُرّ الكَلامِ عَقِيلَةٌ قَصَرَتْ خُطاها خَجلَةُ الْعَذراءِ[1]

نَشأتْ [وشُقرٌ دارُها] فكأنّما وَرَدَتكَ زائرَةٌ مِنَ الزَّوراءِ[2]

رَقّتْ وقد علِمَتْ بموضعِ حُسنِها فأتَتكَ تَمشِي مِشيَةَ الخُيَلاءِ

[١٣] [مخلع البسيط]

يا ضاحِكاً مِلءَ فيهِ جَهلاً أحسَنُ مِن ضَحْكِكَ البُكاءُ[3]

وَهَنْتَ حِسًّا وهُنتَ نَفساً فَلا ذكاءٌ ولا زَكاءُ[4]

(1) عقيلة: قصد بها قصيدته تلك، فهي خجلى: لكن لا بد من بث شكواها، ترحماً وعرفاناً.

(2) شقر: مدينة أندلسية، وهي مدينة شاعرنا وممدوحه القاضي، فصارت كأنها زائرة مثل باقي الزوار. أو كأنها جاءت من المشرق، من بغداد. ذاك حال الشاعر مع ممدوحه، قد وفاه حقه ومدحه فأحسن.

(3) ملء فيه: أي: ملء فمه، (فو) من الأسماء الخمسة، ترفع بالواو وتنصب بالألف، وتجر بالياء (فوه، فاه، فيه).

(4) الوهن: الضعف، الذكاء: حدة الفهم، الزكاء: النمو ومن ضعف حسه وعقله فلا هو يفهم ولا يدرك؛ فلا خير فيه.